# المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة

ـ بغداد ـ جمهورية العراق

المجلد الثالث والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م



رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي

سكرتير التحرير صادق هامل ديكان

# الجهد اللغوي في أمالي الشريف المرتضى

د. نعمة رحيم العزاوي

كلية التربية/جامعة بغداد

ثانياً ـ شرح غريب الشعر والكلام :

لقد اشتمل الأمالي على شروح وافيه لكثير من الغريب ، كشفت عن مستغلقه ، وأماطت اللثام عن معانيه . وقد دلت هذه الشروح على تمكن المرتضى من اللغة ، واحاطته الواسعة بما جفاه الاستعمال ، وتنكبت الألسنة والاقلام من الالفاظ والتراكيب .

وكانت طريقته في الشرح ان يذكر معنى اللفظ الغريب ، ثم يستشهد بشعر او نثر يؤيد الشرح ويعززه ، ثم يعرج على مايسوق من شاهد فيشرح غريبه ايضا ، وبذا تفزز مادة الغريب في هذا السفر النفيس ، ويصبح احد مصادره ، ومظنة من اوثق مظانه .

ومن هذا الغريب ما اشتمل عليه الاثر الذي جاء فيه ان النبي (ص) خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه ، فاذا بالحسين وهو صبي يلعب مع صبية في السكة ، فاستنتل رسول الله (ص) امام القوم ، فطفق الصبي يفر مرة هاهنا ، ومرة هاهنا ، ورسول الله(ص) يضاحكه ، ثم اخذه ، فجعل احدى يديه تحت ذقنه ، والاخرى تحت فأس رأسه واقنعه فقبله وقال : ( أنا من حسين وحسين مني ، أحب الله من احب حسيناً ، حسين سبط من الاسباط ).

لقد شرح المرتضى ما في هذا الاثر من الغريب ، وهو الكلمات (استنتل) و(فأس الرأس) و(أقنعه) ، فقال : معنى استنتل تقدم ، يقال استنتل الرجل استنتالاً وابرنثا ابرنثاء وابرنذع ابرنذاعاً اذا تقدم ، هكذا ذكره ابن الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له فقال : تقول استنتلت الامر استنتالاً اذا استعددت له ، واستنتل الرجل تفرد من القوم ، ويقال : استنتل اشرف ، والمعاني تتقارب ، والخبر يليق بكل واحد منها . وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في ابرنثا وابرنذع ايضاً انه من الاستعداد»[٥٢]

وقال المرتضى : «وفأس الرأس طرف القَمَحْدُوَة المشرف على القفا . ومعنى (اقنعه) رفعه . هكذا ذكره ابن الانباري ، وقال غيره : يقال اقنع ظهره اقناعاً اذا طاطاه ثم رفعه برفق»[٥٣] .

ومن امثلة عنايته بغريب الشعر ايراده قول تابط شراً في وصف الثغر .

وشعب كشلّ الثوب شكّس طريقه
مجامعُ ضوجَيه بطافٌ مخاصره

تعسفته بالليل لم يهدني له دليل ولم يحسن له النعت خابر

وتعقيبه عليه بما يأتي :« قال ـ اي ثعلب ـ يعني بالشعب فم جارية كشلّ الثوب ـ يعني كف الثوب اذا خاطه الخياط . والشكس الضيق ، يصفها بصغر الفم وحسنه ورقة الشفتين . وضوجاه : جانباه ، وضوج الوادي جانبه ، ويعني بالنطاف الريق ، والمخاصر الباردة من الخضر . وقوله (لم يهدني له دليل) اي لم يصل اليه غيري ، كما قال جرير :

الأدب يـــوم قـــد شربت بمشرب شفى الغيم لم يشرب به أحد قبلي

الغيم والغين العطش وانما يعني ريق جارية»[٥٥] . ثم اتبع شرح ثعلب بشرح اخر للمبرد فقال : «قال المبرد : وقال اخرون : بل يعني شعبا من الشعاب مخوفاً ضيقاً سلكه وحده ، قال أبو العباس : انما كنى بالشعب عن فم جارية . ثم اخذ في وصف الشعب ليكون الامر اشد التباساً»[٥٦] . ثم عقب المرتضى على هذين القولين ، قول ابن الانباري والمبرد برأيه فقال : «والاشبه ان يكون اراد شعباً حقيقياً ، لان تأبط شراً كان لصاً وضافاً للاهوال التي تمضي به ، ويعانيها في تلصصه ، وكان كثيراً ما يصف تدليه من الجبال ، وتخلصه من المضايق وقطعه المفاوز وأشباه ذلك ، والقطعة التي فيها البيتان كلها تشهد بان الوصف لشعب لا لفم جارية ، لانه يقول بعد قوله (وشعب كشلّ الثوب) :

لدى مطلع الشعـرى قليل أنيسـه كـأن الطخا في جانبيه معاجر

وهذه الاوصاف كلها لاتليق الابالشعب دون غيره ، وتأول ذلك على الفم تأول بعيد»[٥٧] .

وقد يكون اللفظ من المألوف المستعمل ، ولكن المتكلم او الشاعر يريد به غير معناه القريب ، فيلحق من اجل ذلك بالغريب الذي يستحق ان يشرح ، ويماط النقاب عن معناه ، من ذلك قول مضرس بن ربعي الاسدي :

وما ظلعن الاضياف ان نـزلوا بنـا ولا يمنـع الكـوماء منـا نصـيرها

الذي شرحه المرتضى فقال : «ومعنى (لاظلعنهم) اي لا نبعدهم ، واللعين البعيد ، ونصيرها هاهنا : ما يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك ، والنصير والسلاح في المعنى واحد»[٥٨] .

وقول ابن الاعرابي : «العرب تقول : جاءنا بطعام لاينادى وليده ، اذا جاء بطعام كثير لايراد فيه زيادة ، ووقع في امر لاينادى وليده ، اي لايدعى اليه الصبيان ، ولايستعان الابكبار الرجال فيه»[٥٩] .

وقد علق المرتضى على كلام ابن الاعرابي هذا بأن لهذا الكلام معنى آخر اورده الكلابي فقال : «اصله من الكثرة والسعةفاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر عنه حذر الافساد ، لسعة ماهم فيه ، ثم صار مثلا لكل كثرة . قال الفراء : وهذا القول يستعان به في كل موضع

يراد به الغاية ، وانشد :

لقد شرعت كفايزيد بن مـــزيد  شرائع جود لاينادي وليدها»[٩٠] .

## ثالثاً ـ شرح المفردات :

لقد فسر المرتضى الكثير من القرآن والحديث ، وشرح جانباً من شعر العرب ونثرهم ، فضم لذلك كتاب الامالي كثيراً من الالفاظ المشروحة التي دلت على سعة علم باللغة ، وتمكن من قاموسها الضخم . وكان المرتضى يذكر معاني المفردة التي يعرض لها بالشرح ، ويتتبع مواطن ورودها في الشعر والنثر ، ويسوق ما قد يكون بين اللغويين من جدل او خلاف بشانها ، معقباً عليهم بالتاييد او الرفض .

ومن امثلة شرحه المفردات قوله ان في كلمة (العَجَل) في قوله تعالى[٩١] : (خلق الانسان من عَجَل ساريكم آياتي فلا تستعجلون) وجوها عدة ، منها «ان يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة ، وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور ، لهج بما يجلب اليه نفعاً ، او يدفع عنه ضرراً ، ولهم عادة في استعمال هذه اللفظة عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ماخلقت الامن نوم ، وما خلق فلان الامن شر ، اذا ارادوا كثرة وقوع الشر منه ، وربما قالوا : ما أنت الا اكل وشرب ، وما اشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة :

ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت  فـــانمـــا هي إقبـــال وإدبـــار

وانما ارادت ما ذكرنا من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها . ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى في موضع آخر : (وكان الانسان عجولا)[٩٢] ويطابقه ايضاً قوله تعالى : (فلا تستعجلون) ، لانه وصفهم بكثرة العجلة ، وان من شانهم فعلها ، توبيخاً لهم وتقريعاً . ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات ، من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبت والتأنّد»[٩٣]

ومنها «ماحكي ان أبا الحسن الاخفش أجاب به ، وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل من الامر ، لانه تعالى قال : (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) . فان قيل : كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد (فلا تستعجلون) : قلنا : يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالايات واستبطؤوها اعلمهم تعالى انه ممن لايعجزه شيء اذا اراده ، ولا يمتنع عليه ، وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤونه بان قال له كن فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة ، التي يعجز عنها كل قادر ، ويحار فيها كل خاطر ، لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الايات»[٩٤] .

ومنها «ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين ، فكانه قال تعالى : وخلق الانسان من طين ، كما قال تعالى في موضع اخر : (وبدأ خلق الانسان من طين) ، واستشهد بقول الشاعر :

والنبع ينبت بين الصخـر ضاحية  والنخل ينبت بين الماء والعجل

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ، ويقولون ليس المعروف ان العجل هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم : أن العجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه ، الا ان البيت الذي حكيناه يمكن ان يكون شاهداً عليه ، وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي ، وخالف في شيء من الفاظه :

والنبـع في الصخرة الصماء منبته  والنخل ينبت بين الماء والعجل»[٩٥]

ومنها «جواب روي عن الحسن ، قال : يعني بقوله (من عجل) اي من ضعف ، وهي النطفة المهينة الضعيفة ، وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة عن معنى الضعف او معناه»[٩٦]

ومنها «ان يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل اي في سرعة من خلقه ، لانه لم يخلق من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، كما خلق غيره ، وانما ابتدأه الله ابتداء ، وأنشاه إنشاء»[٩٧] .

ومن امثلة ذلك شرح كلمة (العرض) في قوله (ص) : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ، قائلا : «ذهب قوم الى ان عرض الرجل انما هو سلفه من ابائه وامهاته ومن جرى مجراهم . وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه ، واحتج بحديث النبي (ص) حين ذكر اهل الجنة فقال : (لايبولون ولايتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك) أي من ابدانهم ، قال : ومن قول ابي الدرداء : (اقرض من عرضك ليوم فقرك) ، أراد من شتمك فلا تشتمه ، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص . واحتج ايضاً بحديث الحسن عن رسول الله (ص) انه قال (ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال : اللهم اني قد تصدقت بعرضي على عبادك) ، قال : فمعناه قد تصدقت بنفسي ، واحللت من يقتابني ، ولو كان العرض الاسلاف ، ماجاز ان يحل من سب الموتى ، لان ذلك اليهم لااليه . قال : ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان :

هجـوت محمـداً فـاجبت عنـه  وعنـد الله في ذاك الجـزاء
فـان ابي ووالـده وعـرضي  لعـرض محمـد منكم وقـاء

اراد فان ابي وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد (ص)»[٩٨] .

ثم قال المرتضى : «وقال آخرون ـ وهو الصحيح ـ : العرض موضع المدح والذم من الانسان ، فاذا قيل : ذكر عرض فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به او ما يسقط بذكره ، ويمدح او يذم به ، وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر آبائه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم ، والذي يدل على هذا ان اهل اللغة لايفرقون في قولهم : (شتم فلان عرض فلان) ، بين ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال ، او شتم سلفه وآباءه ، ويدل على ذلك قول مسكين الدارمي :

رب مهـزول سمـين عـرضـه  وسمـين الجسم مهـزول الحسب

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً ، لان السمن والهزال يرجعان الى شيء واحد ، وانما اراد رب مهزول كريمة أفعاله او كريم اباؤه وأسلافه»[٩٩] .

ثم عقب المرتضى مورداً رأيه في هذه الكلمة فقال : «وجدت ابا بكر بن الانباري قد رد على ابن قتيبة قوله هذا ، وطعن على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغابن الجسد (معاطف الجلد جمع مغبن) . وحكي عن الاموي انه قال : الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الابطين وغيرهما . وقال في حديث ابي الدرداء معناه من عابك وذكر اسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المثيب لك . وقال : في قول ابي ضمضم معناه انه أحل من اوصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه ، فلم يحل الا من امره اليه . وقال في قول حسان : المراد بعرضه ايضاً اسلافه ، كانه قال : ان ابي ووالده وجميع اسلافي الذين ايضاً امدح واذم من جهتهم وقاء له عليه السلام ، فاتى بالعموم بعد الخصوص ، كما قال الله تعالى (ولقد اتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)[١٠٠] فاتى بالعموم بعد الخصوص ..... وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف ، او سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه اقرب الى ان يكون المراد به ماذكره لم يقدح فيما ذكرناه ، لانا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان ، بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ، ولافرق بين سلفه ونفسه ، فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا

علينا ، وانما ينفع ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض لايستعمل الافي النفس دون السلف ، وكل شيء فيما المراد بالعرض فيه النفس ، او المراد به السلف ، فهو مؤكد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الانسان ، وانما يكون مااستشهدنا به وما جرى مجراه ، مما يدل على استعمال لفظة (العرض) في السلف حجة على ابن قتيبة ، لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف»[٧١]

ومن امثلة شرحه المفردات قوله مفسراً كلمة (زَناء) التي جاءت في الخبر الذي يروى عن النبي (ص) وفيه انه نهى ان يصلي الرجل وهو زَناء : «الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعاً ببوله ، يقال : أزنا الرجل بوله فهو يزنئه ازناء وزنا بوله يزنا زنئاً ، قال الاخطل :

فـاذا نُفِئتُ الى زَنـاءِ قعـرهـا غبـراء مظلمـةٍ من الاحفـار

يعني ضيق القبر ، ويقال : لاتات فلاناً فان منزله زَنَاء فيجوز ان يكون ضيقاً ، ويجوز ان يكون عسر المرتقى ، وكلاهما يؤول الى المعنى»[٧٢] .

ومن امثلة ذلك ايضاً شرحه كلمة (جُمَاح) التي جاءت في قول رفيع الوالبي :

حتّى الحـوادث لمتي فتـركن لي رأسـاً يصـل كـانـه جمُـاح

قال المرتضى : «قال : كانه جماح من املاسه ، وجماح سهم او قصبة يجعل عليه طين ثم يرمي به الطير»[٧٣] .

رابعاً ـ تسجيل بعض الظواهر اللغوية في كلام العرب :

وقد سجل المرتضى عدداً من الظواهر اللغوية التي منها ظاهرة الاشتراك اللفظي عامة وظاهرتا الترادف والاضداد خاصة ، كما لاحظ ظاهرة القلب في كلام العرب وظاهرة التغليب فيه . وسنورد هنا شيئاً مما سجله من هذه الظواهر :

فمن امثلة ايراده المشترك اللفظي قوله «الخَلة الحاجة والخَلة ايضا الخَصْلة والخُلة بالضم المودة والخُلة ايضاً بالضم ماكان حلواً من المرعى ، والخِلة بالكسر مايخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخَليل أيضا الفقير ، وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى[٧٤] (واتخذ الله ابراهيم خَليلا) ، ومنه حديث ابن مسعود (تعلم القرآن فانه لايدري أحدكم متى يُخْتَلُ اليه) قال ابو العباس ثعلب : يكون من شيئين : احدهما من الخلة التي هي الحاجة ، اي متى يحتاج اليه ، ويكون من الخُلة وهي النبات الحلو ، ويكون معناه : متى يشتهى ما عنده ، مشبه بالابل ، لانها ترعى الخُلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض ، فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ، ومن امثالهم (جاؤوا مخلين فلاقوا حمضا) اي جاؤوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا»[٧٥] .

ومما سجل من ظاهرة الترادف قوله «أما الأوَد فهو الميل ، تقول العرب : لاقيمن ميلك وجنفك وأودك ودَرَأك وضَلَعَك وصَدَغك وظَلَعك بالظاء وصغْوك وصَغرك وصَدرك كل هذا بمعنى واحد»[٧٦] .

واما ظاهرة الاضداد فقد سجل المرتضى شيئاً منها ، جاء ذلك في قوله ، معقباً على قول البشر بن عبد الرحمن الانصاري :

وقصـيرة الايـام ود جليسـها لـو باع مجلسها بفقد حميم

«أما قول الانصاري : وقصيرة الايام فاراد بذلك ان السرور يتكامل بحضور مجلسها لحسنها وطيب حديثها فتقصر ايام جليسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ، ويمكن ان يرد بقصيرة الايام ايضا حداثة سنها وقرب عهد مولدها ، وان كان الاول اشبه بما اتى في اخر البيت . ومعنى (لو باع مجلسها بفقد حميم) اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري معاً . قال الفراء : سمعت اعرابياً يقول : بعْ لي تمراً بدرهم اي اشتر لي تمراً بدرهم ، وقال الشاعر :

فيا عز ليت الناي اذ حال بيننا وبينك باع الود لي منك تاجر

اي ابتاع»[٧٧] .

وفي قوله : «ولا شبهة في ان (عفا) من حروف الاضداد[٧٨] التي تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال تعالى :(حتى عفوا) اي كثروا ، ويقال : قد عفا الشعر ، اذا كثر ، وقال الشاعر :

ولكنـا نُعِضُّ السيف منهـا بـاسوُقِ عـافيـات اللحم كُـوْم

أراد كثيرات اللحم . يقال : قد عفا وبر البعير اذا زاد . ويقال : اعفيت الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بان تحفى الشوارب وتعفى اللحى ، اي توفر»[٧٩] .

وقد اورد المرتضى ظاهرة اخرى يجدها المتتبع لشعر العرب ونثرهم ، وهي ظاهرة القلب ، ونعني بها تقديم ما حقه التاخير من الالفاظ ، من ذلك قوله تعالى[٨٠] : (ما إن مفاتحة لتنوء بالعصبة) . قال المرتضى : «والمعنى : ان العصبة تنوء بها . وتقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم : اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء ، يريدون استوى الحرباء على العود ... ويقول خداش بن زهير :

ونـركب خيـلا لاهـوادة بينهـا وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

يريد : تشقى الضياطرة بالرماح»[٨١] .

وقد يكون القلب في الكلمة الواحدة ، وهما مايسمى عند اللغويين بـ(القلب المكاني) ، ويعنون به تقديم بعض حروف الكلة على بعض .ومما سجله المرتضى من هذه الظاهرة في اماليه قول الشاعر :

إلى ماجد لاينبـح الكلبُ ضيفه ولايتـأدّاه احتمـال المغـارم

اراد ـ كما قال المرتضى ـ يتأوده اي يثقله ، فقلب[٨٢] ) .

ومما سجله المرتضى في اماليه من ظواهر في كلام العرب ظاهرة (التغليب) ونعني بها اطلاق اسم واحد على شيئين متقاربين ثم تثنية ذلك الاسم كقول لشاعر :

أخـذنا بـافاق السماء عليكم لنا قمراهـا والنجوم السـواطع

قال المرتضى : «أراد لنا شمسها وقمرها فغلب»[٨٣] وقول الاخر :

فقـولا لاهل المكتـين تحاشـدوا وسيروا الى اطام يثرب والنخل

قال المرتضى :«اراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب»[٨٤] . ومن ذلك قولهم (الموصلان) يعنون بهما الموصل والجزيرة ، و(الحيرتين) يريدون بهما الحيرة والكوفة[٨٥] .

خامسا ـ اللغات

وقد عني المرتضى ببعض ما فيه لغتان او اكثر من الالفاظ ، من ذلك قوله : «وقال الفراء : لاجَرَم في الاصل مثل لابد ولامحالة ثم استعملته العرب في معنى حقا ، وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا ، لاجَرَم لاقومنّ ، كما قالوا : والله

لاقومن ، وفيها لغات يقال : لاجزم ولاجزم بضم الجيم وتسكين الراء ولاجز بحذف الميم ولاذا جزم ، قال الشاعر

إن كـــلاباً والـــدي لاذا جَـرِمْ  لاهدرن اليوم هدراً في النَعم»[٨٦] .

ومن ذلك قوله معقباً على بيت ابي نواس الذي يصف فيه ناقة :

وتسفُ أحيـــانـــاً فتحسبهـــا  متـــرسمـــا يقتـــاده أثـــرُ

«معنى تسف اي تدني رأسها من الارض ، والمترسم الذي يتتبع الرسم ويتامله ، ومعنى (يقتاده أثرُ) اي هو معني بطلب الاثر وموكل بتتبعه ، ويقال : أثر وأثر الاثر إثر ثلاث لغات ، وقدوهم الصولي في تفسير هذا البيت لانه قال : إن ابا نواس جمع الاثر آثارا ثم جمع الاثار أُثُر ثم خفف فقال . أثْر . وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه ، وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر :أُثُر»[٨٧] .

ومن ذلك قوله : «وفي الاصبع الجارحة ثمان لغات

أُصْبُع بفتح الالف والباء وأصبع بفتح الالف وكسر الباء وأُصبُع بضم الالف والباء وأُصبَع بضم الالف وفتح الباء وأُصبوع بضم الالف مع الواو وإصبع بكسر الالف والباء وإصْبِع بكسر الالف وفتح الباء وإصبُع بكسر الالف وضم الباء[٨٨] .

ومن ذلك قوله : «قال الفراء : سُقِط في ايديهم من الندامة ، وأسْقِط لغتان ، وهي بغير الف اكثر واجود»[٨٩] .

ومن ذلك قوله : «وقال بعض اهل اللغة . انماسمي (منى) لما يمنى فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر فيه ، وقيل ايضا لما يمنى فيه من الدم ، وقيل انما سمي بذلك لان ابراهيم عليه‌السلام لما انتهى اليه قال له الملك تمنّ قال : اتمنى الجنة ، فسمي منى لذلك . ومنى يذكر ويؤنث ، والتذكير اجود ، قال الشاعر في التذكير :

سقى منى ثم رواه وســاكنــه  ومن ثوى فيه واهي الوَدْق مُنْبَعِق

وقال اخر في التانيث :

ليــؤمنا بمنى إذ نحن ننـزلها  اسرُ من يومنا بالغزّ او مَلَل»[٩٠] .

سادساً ـ القراءات :

وقد عرض المرتضى كذلك لما فيه قراءتان او اكثر من الايات التي فسرها في اماليه ، فدل بذلك علم بالقراءات ، واحاطة بسبعيها وشاذها وكان لايورد القراءة حسب وانما يذكر من كلام العرب مايؤيدها او يضعفها . من ذلك قوله تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر ..) الذي عقب عليه المرتضى قائلاً : «وقد اختلفت قراءة القراءالسبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى (ليس البر) فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص (ليس البرّ) بنصب الراء ، وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقون بالرفع ، والوجهان جميعاً حسنان ، لان كل واحد من الاسمين : اسم ليس وخبرها معرفة ، فاذا اجتمعا في التعريف تكافاا في جواز كون احدهما اسماً والاخر خبراً .. وحجة من رفع (البرُ) انه لأن يكون البر الفاعل اولى لانه (ليس) يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده .... وحجة من نصب (البر) ان يقول : كون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لاتوصف ، كما لايوصف المضمر ، فكانه اجتمع مضمر ومظهر ، والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر»[٩١] .

ومن ذلك قوله تعالى[٩٢] : (قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكاناً واضل عن سواء السبيل) .

عرض المرتضى لما في هذه الاية من قراءات فقال : قرئت (وعَبُدَ) بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من (طاغوت) ، وقرئت (عَبُدَ الطاغوتِ) بضم العين والباء وقرئت (وعُبُدَ الطاغوتِ) بضم العين وتشديد الباء وقرئت (وعُبّاد الطاغوتِ)[٩٣] .

ثم قال المرتضى: «المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الاحمزة فانه‌قرأ (عَبُد) بفتح العين وضم الباء ، وباقي القراءات شاذ غير مأخوذ بها»[٩٤] . ثم نقل عن الزجاج انه قال في كتابه معاني القرآن : والذي اختاره (وعَبَدَ الطاغوتَ) ، وروي عن ابن مسعود رحمه الله (وعبدوا الطاغوت) فهذا يقوي (وعَبَدَ الطاغوتَ)»[٩٥] ثم روى المرتضى ان الزجاج «خرج لمن قرأ (عَبُدَ) وجهاً فقال : ان الاسم بني على فَعُل كما يقال (رجل حَذُر) اي مبالغ في الحذر ، فتاويل (عَبُدَ) انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان»[٩٦] . ثم روى المرتضى ان ابا علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي احتج لقراءة حمزة فقال : «ليس (عُبُدَ) لفظ جمع الا ترى انه ليس في ابنية الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة ... وذلك نحو (يَقُظ) و(نَدُس) ، فهذا كان تقديره انه ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب»[٩٧] .

ومن ذلك قوله تعالى[٩٨] (وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، او مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) .

قال المرتضى في معرض قراءات هذه الايات : «وقد اختلف الناس في قراءة (فكُ رقبة) ، فقرأ أمير المؤمنين عليه السلام ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجاء العطاردي وابو عمرو والكسائي : (فكّ رقبةً) بفتح الكاف ونصب الرقبة ، وقرؤوا (أو أطعم) على الفعل دون الاسم ، وقرأ اهل المدينة واهل الشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي : (فكُّ) بضم الكاف ويخفض (رقبةٍ) او اطعامٌ على المصدر وتنوين الميم وضمها . فمن قرأ على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل ، ألا ترى ان المعنى : ماأدراك ما اقتحامُ العقبة ، هو فكُ رقبةٍ أو إطعام ، وذلك هو احسن من ان يقال : هو فك رقبةً او أطعم . ومال الفراء الى القراءة بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى (ثم كان من الذين امنوا) لانه فعل ، والاولى ان يتبع فعلا ، وليس يمتنع ان يفسر اقتحام العقبة ـ وان كان اسماً ـ بفعل يدل على الاسم ، وهذا مثل قول القائل : ما أدراك مازيدُ ؟ يقول ـ مفسراً ـ : يصنع الخير ويفعل المعروف ، وما اشبه ذلك ، فياتي بالافعال»[٩٩] .

ومن ذلك قوله تعالى[١٠٠] . (ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى) ، الذي عقب عليه المرتضى قائلاً : «وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من (أعمى) ، فمنهم من قرأ بفتح الميمين ومنهم من قرأ بكسرهما . فاما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن ، لان كثيراً من العرب لايميلون هذه الفتحة ، واما من امال الجميع فوجه قوله ان ينحو بالالف نحو الياء ، ليعلم انها تنقلب الى الياء[١٠١] . ثم قال : «واما قراءة ابي عمرو

بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية (أفعل من كذا) مثل افضل من فلان ، واذا جعلها كذلك لم تقع الالف في اخر الكلمة ، لان اخرها انما هو من كذا ، وانما تحسن الامالة في الاواخر ، وقد حذف من (أفعل) الذي هو للتفضيل الجار والمجرور معاً . وهما مرادان في المعنى مع الحذف ، وذلك نحو قوله تعالى[١٠٢] (فانه يعلم السر واخفى) ، المعنى واخفى من السر ، فكذلك قوله تعالى (فهو في الاخرة اعمى) اي اعمى منه في الدنيا ، او اعمى من غيره ، ويقوي هذه الطريقة ماعطف عليه من قوله تعالى :(وأضل سبيلا) ، فكما ان هذا لايكون الاعلى (أفعل) من كذا كذلك المعطوف عليه»[١٠٣] .

سابعاً ـ النحو :

١ـ المصدر : تكلم الشريف المرتضى على الاخبار عن المصدر بالاسم ، نحو قوله تعالى :(ولكن البر من امن بالله) وقول العرب : انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا . وتكلم على الاخبار عن الاسم بالمصدر نحو قول الشاعر :

لعمرك ماالفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندِ

٢ـ من الافعال :

كاد : لقد تكلم المرتضى على هذا الفعل من عدة اوجه :

(أ)الحذف : فقد ذهب الى انها قد تحذف من الكلام لدلالة السياق عليها ، وكان ابن قتيبة يرى الرأي نفسه ، والشاهد فيه قوله تعالى[١٠٤] (وبلغت القلوب الحناجر) ، ومن معانيه «كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر ، وان لم تبلغ في الحقيقة ، فالغى ذكر (كادت) لوضوح الامرفيها»[١٠٥] .

وكان ابو بكر بن الانباري يرى ان (كاد) لاتحذف ، ولو جاز حذفها لجاز (قام عبدالله) بمعنى (كاد عبد الله يقوم) فيكون تأويل (قام عبد الله) بـ(لم يقم عبدالله) ، لأن معنى (كاد عبدالله يقوم) لم يقم .[١٠٦] .

غير ان المرتضى رد على ابي بكر الانباري رأيه هذا ، وعزاه الى انه من قبيل ما اولع به من مخالفة لابن قتيبة ، ونقض لارائه ، فقال : «لان من شأنه ـ إي الانباري ـ ان يرد كل مايأتي به ابن قتيبة ، وان تعسف في الطعن عليه»[١٠٧] ثم قال المرتضى : «والذي استبعده الانباري غير بعيد ، لان (كاد) قد تضمر في مواضع يقتضيها بعض الكلام ، وان لم تكن في صريحه ، الاترى انهم يقولون : اوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما اشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولابد من اضمار (كاد) فيه . وقال جرير :

ان العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتـــلانا

وانما المعنى انهن كدن يقتلننا ، وهذا اكثر في الشعر والكلام من ان ينكر»[١٠٨] .

وقال ايضا رداً على ابن الانباري : «فاما قوله : فيكون تأويل (قام عبد الله) لم يقم عبد الله ، فخطأ ، لانه ليس معنى (كاد يقوم انه لم يقم . كما ظن ، بل معناه انه قارب القيام ودانمنه ، فمن قال (قام عبد الله) وأراد (كاد يقوم) ، فقد افاد مالايفيده : لم يقم»[١٠٩] .

(ب)زيادتها للتوكيد :

وذهب المرتضى الى ان (كاد تزاد للتوكيد اذا سبقت بنفي ، فقولهم (مايكاد عبد الله يقوم) معناه (مايقوم عبد الله)[١١٠] . وقال : «وتكون لفظة (يكاد) على هذا المعنى مطروحة لاحكم لها ، وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى : (اذا اخرج يده لم يكد يراها) اي لم يرها اصلا ، لانه جل وعز لما قال (او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد وسائر المناظر ، فـ(يكد) على هذا التاويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا اخرج يده لم يرها»[١١١] .

فاذا لم تكن (كاد) زائدة للتوكيد بعد النفي فانها تدل على حدوث الفعل الذي يقترن بها بعد ابطاء وتاخر ، يقال (ماكاد عبد الله يقوم و(لم يكد عبد الله يقوم) اي قام عبد الله بعد ابطاء ولأي ، وهذا اجود من الرأي الاول ، ومثله قوله تعالى[١١٢] : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخير ، لغلاء ثمنها ، فقد كانت ليتيم فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهباً[١١٣] . وعلى هذا فان معنى قوله تعالى (لم يكد يراها) اي رآها بعد عسر وابطاء لتكاثف الظلمة[١١٤] .

(ج) وقد يكون معنى (كاد اراد ، وعلى هذا يكون معنى الاية (لم يكد يرها) : «لم يرد ان يراها لان الذي شاهده من تكاثف الظلمة أيأسه من تامل يده ، وقرر في نفسه انه لايدركها ببصره . وحكي عن العرب : اولئك اصحابي الذين اكاد انزل عليهم ، اي اريد ان انزل عليهم ، وقال الشاعر :

كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة مامضى

اي أرادت وأردت ، وقال الافوة الاودي :

فـان تجمـع أوتـاد واعمـدة وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

اي ارادوا»[١١٥] .

كان :

تكلم المرتضى على هذا الفعل من حيث دلالته على الزمن ، ولاسيما عند دخوله على كونه تعالى عالماً وقادراً ، فقال : ان دخول كان على العلم او القدرة لايقتضي ظاهره الاختصاص بالماضي دون المستقبل ، فان لاهل العربية في ذلك مذهبا معروفاً مشهوراً ، لان احدهم يقول : كنت العالم وما كنت الاعالما وما كنت الاالشجاع والاالجواد ويريدون بذلك الاخبار عن الاحوال كلها ، ماضيها وحاضرهاومستقبلها ولايفهم من كلامهم سوى ذلك . واذا كانت هذه عبارة عما ذكرنا فصيحة بليغة ، والقران نزل بافصح اللغات وابينها وابرعها ، وجب حمل لفظة (كان) اذا دخلت في كونه تعالى عالماً وقادراً على ما ذكرنا» .[١١٦] .

وذهب المرتضى الى ان العرب قد تعبر بـ(يكون) عن (كان) واستشهد بقول زياد الاعجم يرثي المغيرة[١١٧] :

فاذا مررت بقبره فاعقد به كوم المطي وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقـد يكون اخـانم وذبائـح

٣ـ الحروف :

الباء : فسر المرتضى قوله تعالى[١١٨] (اولئك لم يكونوا معجزين في الارض

وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ، فذهب الى ان المعنى «يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ، وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون ، عناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله . فاسقط الباء من الكلام ، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لاجزينك بما عملت ، ولاجزينك ما عملت ، ولاحدثنك بما عملت ولاحدثنك ما عملت ، وكما قال الشاعر :

نغالي اللحم للاضياف نيئاً ونبذله اذا نضج القديرْ

فاراد : نغالي باللحم»[١١٩] .

إلا :

ذهب المرتضى الى ان (الا قد تاتي بمعنى (الواو) ، وعلى هذا الوجه حمل قول المخبل السعدي في وصف الاتاني :

وارى لهـا داراً بـاغـرة السيدان لم يدرس لهم رسم
الا رمـاداً هـامـداً دفعت عنـه الرياح خـوالـدُ سُحَمُ

قال المرتضى : الاها هنا بمعنى الواو ، فكانه قال : وارى رماداً هامداً ولو ان (الا) هاهنا بمعنى الواو لفسد الكلام ، ونقص اخره اوله ، لانه يقول في اخر البيت : ان الخوالد السحم[١٢٠]دفعت عنه الرياح ، فكيف يخبر بانه قد درس ، وانما اراد انه باق ثابت ، لان الاتاني دفعت عنه الرياح فلم يستتنه ، اذن هو من جملة مالم يدرس ، بل هو داخل في جملته»[١٢١] .

إنْ :

ذهب المرتضى الى انه وجد بعض المفسرين يجعلون (إنْ)بمعنى (ما) في قوله تعالى[١٢٢] .

(فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) .

والذي حمل هؤلاء على ذلك هو عدم اجازتهم ان يكون النبي في شك مما اوحي اليه وان يسأل المكذبين له من أهل الكتاب . اما المرتضى فانه يرى ان ظاهر الخطاب له عليه السلام . والمعنى لغيره كما قال تعالى[١٢٣] (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء) ، فكانه قال : فان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على نبينا فاسأل الذين يقرؤون الكتاب[١٢٤] .

لا :

وقف المرتضى عند قوله تعالى[١٢٥] : (وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة . وما ادراك ما العقبة . فك رقبة . او اطعام في يوم ذي مسغبة . يتيماً ذا مقربة . او مسكيناً ذا مترية . ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) .

فذهب الى ان (لا) هاهنا قد تفيد الدعاء وتجري مجرى قولك لانجا ولاسلم . وقد تكون بمعنى (فهلا) او (أفلا اقتحم العقبة) الانه ضعف هذا الوجه لان (فلا) خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام. ثم اختار المرتضى ان تكون (لا) بمعنى النفي وبمنزلة (لم) اي (لم يقتحم العقبة) ، وقال : «واكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير (لا) كما قال[١٢٦] سبحانه (فلا صدق ولا صلى) اي لم يصدق ولم يصل .. الاان في الاية ماينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى (ثم كان من الذين امنوا ...) فكانه قال : فلا اقتحم العقبة ولا امن . فمعنى التكرار حاصل»[١٢٧] .

٤ـ التوكيد :

يذهب المرتضى في اماليه إلى ان التوكيد «لابد فيه من فائدة وان كل موضع ادعي فيه انه للتأكيد من غير فائدة مجددة فيه فائدة مفهومة» لم يكن من مواضع التاكيد[١٢٨] . ثم قال : «ويتطلب لكل شيء ادعي انه لمحض التاكيد فائدة قلت او كثرت ، فانها توجد ، وليس جهل الطالب لها بها يقتضي فقدها ، فان الادلة الواضحة قد دلت على ان العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لايفيد . وان الكلام الذي ما وضع في الاصل الالفائدة ، قليله في وجوب الفائدة ككثيره ، فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبر ، وربما خفيت»[١٢٩] .

ثم عرض في ضوء هذا الاصل للمفعول المطلق ، الذي قيل انه للتاكيد في نحو قوله تعالى :[١٣٠]

(فانه يتوب الى الله متابا) ، فقال عنه : «ما ورد هذا المصدر للتاكيد على ما يقوله قوم ، بل لفائدة مجددة ، لانه تعالى اراد متاباً جميلا مقبولا ، واقعا في موقعه ، فحذف ذلك اختصاراً ، كما يقول العربي الفصيح في الشعر المستحسن : هذا هو الشعر ، والفرس الممدوح : هذا هو الفرس ، وانما حذف الصفة اختصاراً ، والمراد هذا هو الشعر المستحسن ، والفرس الكريم . ومثله قوله تعالى[١٣١] : (وكلم الله موسى تكليما) ، انه اراد الفضل والمدح ، وقال قوم : بل سمع كلامه من غير واسطة ولامتحمل له . فاما قول القائل : ضربته ضرباً وما اشبه ذلك من ذكر المصادر مع الافعال ، وفي ذكر الافعال من غير المصادر لدلالتها عليها فله وجهان : احدهما ان يكون نفى صفة الضرب اختصاراً ، واراد ضرباً شديداً مبرحاً ، فحذف ، او ان يكون اراد انه باشر الضرب وتولاه ، لاأنه أمر به ، فقد يقال ضربه اذا امر بضربه ، ولايكادون يقولون : ضربه ضرباً اذا امر بضربه ، ولم يباشره»[١٣٢] .

ومماله صلة بالتوكيد مازعموا زيادته في بعض الاحرف ، نحو (ما) و(إن) و(الكاف) ، فان المرتضى نفى ان تكون هذه الاحرف وامثالها زائدة في بعض المواضع ، لامعنى تحتها ، وذهب الى انها دخلت للتاكيد .

من ذلك قولهم : لامر ماجدع قصير انفه) ، فان (ما) هنا مؤكدة ، وليست زائدة ، ومعنى قولهم (لامر ما كان كذا) انه لامر لست به عارفاً ، لانهم لايكادون يقولون : لامر ما كان كذا وكذا ، وانابه عارف ، وان جاز ان يقولوا : لامر كان كذا وانا به عارف ، وانما قالت الزباء : لامر ما جدع قصير انفه ، لانها كانت جاهلة بسبب قطع انفه ، وغير عالمة به ، وهذا يبطل قول من جعلها زائدة بغير فائدة[١٣٣] .

ومن ذلك قوله تعالى[١٣٤] : (فبما رحمة من الله لنت لهم) ، فقد ذهب قوم الى ان (ما) زائدة هاهنا ، «وليس الامر على ما ظنوه ، لان من شانهم ألا يدخلوا (ما) هاهنا الا اذا ارادوا الاختصاص ، وزيادة فائدة على قولهم : (فبر حمة من الله لنت لهم) لان مع اسقاط (ما) يجوز ان تكون الرحمة وغيرها سبباً للين ، ولا يكادون يدخلونها مع (ما) الاوالمراد انها سببه دون غيرها ، فقد افادت اختصاصاً لم يستفد قبل دخولها»[١٣٥] .

ومثل ذلك ايضا قولهم : (ما إن في الدار زيد) ، فيشبه ان يكون دخول (إن) هنا لفائدة لاتحقق بقولهم) : (ما في الدار زيد) «لانهم اذا قالوا (ما في الدار زيد) جاز أن يريدوا انه لا تصرف له في الدار ، ولاتاثير لكونه فيها ، فكانه ليس حالاً فيها ، لانهم ابداً يقولون : ما في هذه البلدة امير ، ولا لهذا الناس مدبر ، يريدون السياسة والتدبير فاذا قالوا : (ما ان في الدار زيد) او (ما ان للبلد امير) ، فلا بد ان يريدوا انه ليس فيها على

الحقيقة من ذكروه ، وهذا معنى قول اهل العربية ان ذلك للتاكيد ، ومعنى التاكيد هو الذي اشرنا اليه ، لان التاكيد لايجوز ان يكون لغير فائدة ، وان يكون دخوله كخروجه»[١٣٦] .

ومثل ذلك قوله تعالى[١٣٧] : (ليس كمثله شيء) ، فقد ذهب المرتضى الى ان «دخول الكاف هاهنا ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير المعنى ، بل تفيد بدخولها مالايستفاد مع خروجها ، لانه اذا قال : (ليس مثله شيء) جاز ان يراد من بعض الوجوه ، او على بعض الاحوال ، فاذا دخلت الكاف فهم نفي المثل على كل وجه ، الاترى انه لايحسن ان يقال : ليس كمثله احد في كذا ، بل على الاطلاق والعموم»[١٣٨] .

٥ـ معاني بعض الصيغ :

وقد عرض المرتضى في اماليه لبعض الصيغ التي قد يستفاد منها غير ما يدل عليه ظاهر بنائها ، او قد تفيد معنى صيغة اخرى .

من ذلك ان المصدر قد يدل على ما تدل عليه صيغة (فاعل) ، كلفظة (البر) التي جاءت بمعنى (البار) في قوله تعالى : (ولكن البر من آمن بالله ...) ، او بمعنى (ذا البر)[١٣٩] وكلمة (نوح) التي جاءت بمعنى (نائحة) في قول الشاعر[١٤٠] .

تظل جيادهم نوحاً عليهم مُقَلَّدةً أعنتها صفونا

وقد يفيد المصدر ما يفيده اسم المفعول نحو قوله تعالى[١٤١] (وجاؤوا على قميصه بدم كذب) اي مكذوب فيه وعليه ، ومثل قولهم : هذا ماء سكب وشراب صب يريدون : مسكوباً ومصبوباً[١٤٢] .

وقد يفيد اسم المفعول معنى المصدر كقولهم : ما لفلان معقول ، يريدون عقلا . وماله على هذا الامر مجلود ، يريدون جلداً ، قال الشاعر :

حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا[١٤٣]

وقد تاتي (مفعول) بمعنى (فاعل) كقوله تعالى[١٤٤] : (ان تتبعون إلا رجلا مسحوراً) اي ساحراً ، وكقوله تعالى[١٤٥] :(حجاباً مستوراً) اي ساتراً . والعرب تقول للمعسر : مُلْفَج ومعناه مُلْفِج ، لان ما ضيه الفج ، فجاؤوا بلفظ المفعول وهو الفاعل[١٤٦] .

وقد تاتي صيغة (افعل) لغير التفضيل ، من ذلك كلمة (خير) في قول النبي (ص) : (نية المؤمن خير من عمله) .

لقد اثيرت حول هذا الحديث شبهة مؤداها ان النية لاتكون خيراً من العمل لانها اخفض ثواباً منه،وقد تكلف بعضهم لهذا الحديث تاويلات بعيدة ، رفضها المرتضى منها ، ان نية المؤمن خير من عمله العاري من النية لان (افعل) لايدخل الافي شيئين اشتركا في الصفة وزاد احدهما فيها على الاخر ، ولهذا لايقول احد : ان العسل احلى من الخل ، وان النبي افضل من ابليس . والعمل اذا عري من النية لا خير فيه ، ولاثواب عليه . فكيف تفضل النية عليه وفيها خير وثواب على كل حال .

ومنها ان نية المؤمن خير من عمله الذي هو معصية ، وهذا يبطل ايضاً بما بطل به الوجه الاول ، لان المعصية لاخير فيها ، فيفضل غيرها عليها فيه . ولذا انفرد المرتضى بوجه دقيق حمل عليه الحديث وهو ان (خير) في الحديث ليست للتفضيل ، او ليست بمعنى (أفعل) . فاسقط بذلك الشبهة ، ولم يحوج الى التكلف والتعسف اللذين يحتاج اليهما من جعل لفظ (خير) بمعنى (افعل)[١٤٧] .

وكان المرتضى يرى ان (افعل) قد تاتي لغير التفضيل كما في قول المتنبي :

أبعد بعدت بياضاً لابياض له لانت أسود في عيني من الظلم

الذي اراديه : انك اسود من جملة الظلم ، كما يقال : حر من احرار ولئيم من لئام ، فيكون الكلام قد تم بقوله : لانت أسود . ومثله قول الشاعر :

ياليتني مثلك في البياض ابيض من اخت بني إباض

كانه قال : ابيض من جملة اخت بني إباض ، ومن عشيرتها وقومها ، ولم يرد التفضيل[١٤٨] .

ثم قال المرتضى : «وهو أحسن من قول ابي العباس المبرد لما انشد هذا البيت ، وضاق ذرعاً بتاويله على مايطابق الاصول الصحيحة : ان ذلك محمول على الشذوذ والندران»[١٤٩] .

ونفياً لما قد يثار على هذا الوجه الذي حمل عليه الحديث من مطاعن ، قال المرتضى : «فان قيل : كيف تكون نية المؤمن من جملة اعماله والنية لاتسمى عملا في العرف ، وانما تسمى بالاعمال افعال الجوارح» أجاب المرتضى : «ولو سلمنا ان اسم العمل يختص بافعال الجوارح جاز ان يطلق ذلك على النية مجازاً واستعارة فباب التجوز اوسع من ذلك»[١٥٠] .

٦ـ الاستثناء :

عالج المرتضى في اماليه هذا الموضوع من عدة جوانب ، هي (أ) لايصح دخول الاستثناء على الفاظ الواحد ، فلا يصح ان يقال : (جاءني رجل الا زيداً) ، لان لفظ الواحد لايستثنى منه احد .

ولكن يصح القول : (جاءني رجل ليس زيداً ، أو ليس بزيد) ، فهذا يجري مجرى الاستثناء ، ولكنهم لم يسموه استثناء ، مادام قد حصل بغير لفظة (ألا) .

(ب)يصح ان يقال (جاءني الرجال الا رجلا) ولكن لايصح ان يقال (جاءني رجال الا رجلا) ، فاذا وصفت المستثنى جاز (جاءني رجال الا رجلا قصيراً) ، لان لفظ (رجال) لاتفيد عموم الجنس ، كما تفيده لفظ (الرجال) .

(ج) يصح ان يقال (ماجاءني رجل الا زيداً) ، لان لفظ (رجل) هنا تفيد عموم الجنس ، لسبقها بالنفي .

٧ـ إعراب القرآن :

(أ) وقف المرتضى عند اعراب (الراسخون) من قوله تعالى[١٥١] : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنابه كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولو الالباب) .

وقد ذكر في اعراب هذه الكلمة وجوهاً منها «ان يكون (الراسخون) في العلم معطوفا على اسم الله تعالى ، فكانه قال : وما يعلم تأويله الا الله والا الراسخون في العلم» . واما قوله (يقولون أمنا به) فقد وقع موقع الحال «والمعنى انهم يعلمونه قائلين : امنا به كل من عند ربنا) ، وهذا غاية المدحة لهم ، لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم ، واظهروا التصديق به على السنتهم ، فقد تكاملت مدحتهم ، ووصفهم بـاداء الواجب عليهم»[١٥٢] .

وقد تكون جملة (يقولون آمنا) مستانفة ، استغنى فيها عن حرف

العطف ، كما استغنى عنه في قوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى ، فيستغني به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف العطف كان حسناً[١٥٣] .

ومنها ان يكون (والراسخون في العلم) مستانفة غير معطوف على ما تقدم ، ثم اخبرعنهم بانهم (يقولون : آمنا به) .[١٥٤] .

وقد اختار ابو على الجبائي هذا الوجه وقواه ، وضعف الأول بان قال : «قول الراسخين في العلم : آمنا به كل من عند ربنا) دلالة على استسلامهم ، لانهم لايعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم»[١٥٥] . غير ان المرتضى رد على الجبائي قائلا : (وليس الذي ذكره بشيء ، لانه لايمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه : آمنا به ، على الوجه الذي قدمنا ذكره ، فكيف يظن أنهم لايقولون ذلك إلا مع فقدالعلم به ، وما المنكر من ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه» .[١٥٦]

(ب) وأعرب المرتضى قوله تعالى (إنه عمل غير صالح) من قوله تعالى :[١٥٧] (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين . قال يانوح انه ليس من آهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسالني ماليس لك به علم ، اني اعظك ان تكون من الجاهلين) .

قال المرتضى: رفعت كلمة (عمل) على تقدير : ان ابنك ذو عمل غير صالح ، فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ، وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :

ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبـــال وإدبـار

ارادت انما هي ذات اقبال وادبار .[١٥٨]

وقال : وقال اخرون : «ان الهاء في قوله (انه عمل) راجع الى السؤال ، والمعنى ان سؤالك اياي ماليس لك به علم عمل غير صالح ، لانه قد وقع من نوح دليل السؤال في قوله (ان ابني من اهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك اي نجه كما نجيتهم»[١٥٩] .

(ج) ووقف المرتضى عند قوله تعالى :[١٦٠] (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون) ، فذهب الى ان في الاية حذفاً ، وتقدير المعنى : وسل تُبّاع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، ويجري ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون : السخاء سخاء حاتم ، والشعر شعر زهير ، واقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف اليه . ومثله قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) .[١٦١]

وذهب ابن قتيبة الى ان المعنى : وسل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا ، يعني اهل الكتاب[١٦٢] ، فقال المرتضى : «وقد رُدّ على ابن قتيبة هذا الجواب ، وقيل انه أخطا في الاعراب لان لفظة (اليه) لايصح اضمارها ، في هذا الموضع لانهم لايجيزون (الذي جلست عبد الله) على معنى (الذي جلست اليه عبد الله) ، لان (اليه) حرف منفصل عن الفعل ، والمنفصل لا يضمر ، وكذلك لايجوز (الذي رغبت محمد) بمعنى (الذي رغبت فيه محمد) لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولك (الذي أكلت طعامك) و(الذي لقيت صـديقك) معناهماالذي اكلته ولقيته» .[١٦٣] ثم قال : «فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف ، والمعنى على ما تقدم» .[١٦٤]

(د) ووقف المرتضى عند قوله تعالى[١٦٥] : (قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم ليكم الا تشركوا به شيئاً) .

والذي دعاه الى اعراب هذه الاية ما قد اثير حولها من شبهة مؤداها ان ظاهر الاية انه حرم علينا الانشرك بالله شيئاً ، وهو غير محرم .

لقد ساق المرتضى عدة اوجه في اعراب الاية نختار منها قوله ـ وهو مما انفرد به ـ «ويمكن في الاية وجه غير مذكور فيها ، والكلام يحتمله وهو ان يكون الكلام قد انقطع عند قوله تعالى (اتل ما حرم ربكم) والوقف هاهنا ، ثم ابتدأ (عليكم الاتشركوا به شيئاً)» .[١٦٦]

وفي اعراب المصدر المؤول وجهان : الرفع على الابتداء ، او النصب على الاغراء ، كما تقول عليك زيداً ، اذا أمرت باخذه ، والبدار اليه .[١٦٧]

ومن اوجه اعراب هذه الاية ان تكون (لا) زائدة في قوله (الاتشركوا) فكانه عز وجل حرم ان تشركوا به ، واستشهد على زيادة (لا) بقوله تعالى[١٦٨] : (مامنعك الاتسجد اذ امرتك) ، ويقول الشاعر :

فمـا ألوم البيض ألاتسخـرا لمـــا رأين الاشمط القَفَنْـدَرا

ثم قال المرتضى معقباً على هذا الوجه : «قد انكر كثير من اهل العربية زيادة (لا) في مثل هذا الموضع ، وضعفوه ، وحملوا قوله (ما منعك الاتسجد اذ أمرتك) على انه خارج على المعنى ، والمراد به : مادعاك الى الا تسجد ، ومن امرك بألا تسجد»[١٦٩] .

(هـ)وقد وقف المرتضى عند قوله تعالى[١٧٠] : (وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) ، وذكر في اعراب جملة (غلت أيديهم) وجوهاً ثلاثة :

الاول أنها خرجت مخرج الدعاء . والثاني انها جاءت على جهة الاخبار عن نزول ذلك باليهود ، وموضع (غلت) نصب على الحال ، كانه تعالى قال ، وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم ، وفي الجملة (قد مضمرة قبل قوله (غلت) ، وساغ حذفها هنا كما ساغ حذفها في قوله تعالى[١٧١] : (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دُبُر فكذبت) ، والمعنى فقد صدقت وقد كذبت . والثالث ان يكون المعنى «وقالت اليهود يد الله مغلولة ففلت ايديهم ، او وغلت ايديهم ، واضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم تم واستؤنف بعده كلام آخر ، ومن عادة العرب ان تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع ، من ذلك قوله تعالى[١٧٢] : (واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً) ، اراد فقالوا أتتخذنا هزواً ، فاضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه السلام»[١٧٣] .

يتضح مما تقدم ان المسائل النحوية الكثيرة ، التي اثارها المرتضى في أماليه ، والتي اوردنا أمثلة منها في هذا البحث ، كان الدافع الى اثارتها هو تفسير القرآن ، والوصول الى فهمه ، وإماطة الشبهات عن لغته ومعانيه . ويبدو انه في معالجة هذه المسائل كان بصرياً من غير تعصب للبصريين ، ولاتعبد باقوالهم ، فقد اخذ عن ثقات الكوفيين ، وصدر عن بعض آرائهم ، واستعمل بعض مصطلحاتهم ، كمصطلح الخفض الذي يقابل (الجر) عند البصريين .

فالذي يتامل ما أوردنا هنا من بحوث نحوية ولغوية ، يجد ان المرتضى ياخذ عن اقطاب المدرسة البصرية كالمبرد والزجاج والاخفش وقطرب ، كما ياخذعن شيوخ المدرسة الكوفية كالفراء وثعلب وابي بكر بن الانباري ، ويجده كذلك يرد على اعلام المدرستين ، وينقض بعض ارائهم ، فقد رد على المبرد وابن قتيبة ، ولم يسلم ببعض اقوالهم ، كما رد على الفراء وثعلب

وابي بكر بن الانباري .

وأما بصريته فتتمثل في اتجاهه العام ، وفي تبنيه بعض وجهات نظر البصريين فاما اتجاهه العام في البحث النحوي فهو اتجاه بصري ، قائم على الاكثار من التأويل والتقدير ، وهما دعامتا هذا الاتجاه ، واوضح ما يميزه ، ويرسم معالمه . واما تبنيه بعض وجهات نظرهم ، فقد تمثل في منعه صياغة اسم التفضيل وفعل التعجب من الفاظ العيوب والالوان[١٧٤] .

وبعد

فذلك هو جهد الشريف المرتضى اللغوي في اماليه ، وهو جهد ضخم وما أودعته هذا البحث ليس الا أمثلة منه ، توضح جوانبه وتشير الى اتجاهاته . فارجو ان اكون قد وفقت لرسم صورة واضحة القسمات ، جلية الملامح ، للمرتضى الفقيه المتكلم ، وهو يطرق في اماليه باب اللغة ، بل يدخل عالمها الفسيح ، فيدل على غزارة علم ، وسعة دراية . تضيفانه الى كبار اللغويين ، وتجعلانه . بحق أحد مشاهيرهم .

## الهوامش

(٥٣) الامالي : ٢١٩/١ . (٥٤) المصدر نفسه : ٢٢٠/١ . (٥٥) الامالي : ١٧٧/٢ .
(٥٦) المصدر نفسه . (٥٧) المصدر نفسه : ١٧٧/٢ ، ١٧٨ . (٥٨) المصدر نفسه : ١١٩/٢ . والكوماء : الناقة . (٥٩) الامالي : ٢٢٢/١ . (٦٠) الامالي : ٢٢٢/١ . (٦١) الانبياء : ٣٧ . (٦٢) الاسراء : ١١ . (٦٣) الامالي : ٤٦٥/١ ، ٤٦٦ . (٦٤) المصدر نفسه : ٤٦٩/١ . (٦٥) المصدر نفسه : ٤٦٩/١ ، ٤٧٠ . (٦٦) المصدر نفسه : ٤٦٩/١ . (٦٧) المصدر نفسه : ٤٧٠/١ . (٦٨) الامالي : ٦٣٢/١ ، ٦٣٣ . (٦٩) الامالي : ٦٣٣/١ . (٧٠) الحجر : ٨٧ . (٧١) الامالي : ٦٣٤/١ ، ٦٣٥ . (٧٢) الامالي : ٢٨٥/٢ . (٧٣) المصدر نفسه . (٧٤) النساء : ١٢٥ . (٧٥) الامالي : ١٨٥/٢ . (٧٦) المصدر نفسه : ١٧٢/٢ . (٧٧) المصدر نفسه : ٤٩٦/١ ، ٤٩٧ . (٧٨) الاعراف : ٩٥ . (٧٩) الامالي : ١٩٤/٢ . ١٩٥ . (٨٠) القصص : ٧٦ . (٨١) الامالي : ٤٦٦/١ ، ٤٦٧ . (٨٢) المصدر نفسه : ١١٣/٢ . (٨٣) المصدر نفسه : ١٨٤/٢ . (٨٤) المصدر نفسه . (٨٥) المصدر نفسه . (٨٦) الامالي : ١١٠/١ (٨٧) المصدر نفسه : ٢٨١/١ ، ٢٨٢ . (٨٨) المصدر نفسه : ٣٢٠/١ (٨٩) المصدر نفسه : ٣٤٣/١ . (٩٠) الامالي : ٣٦٩/١ . (٩١) المصدر نفسه : ٢٠٦/١ ، ٢٠٧ . (٩٢) المائدة : ٦٠ . (٩٣) الامالي : ١٨٢/٢ . (٩٤) الامالي : ١٨٢/٢ . (٩٥) المصدر نفسه . (٩٦) المصدر نفسه . (٩٧) المصدر نفسه : ١٨٢/٢ ، ١٨٣ . (٩٨) البلد : ١٠ ـ ٢٠ . (٩٩) الامالي : ٢٩٠/٢ . (١٠٠) الاسراء ٧٢ . (١٠١) الامالي : ٦٤/١ . (١٠٢) طه : ٧ . (١٠٣) الامالي : ٦٤/١ . (١٠٤) الاحزاب : ١٠ . (١٠٥) الامالي : ٣٣٠/١ . (١٠٦) المصدر نفسه : ٣٣٤/١ . (١٠٧) المصدر نفسه : ٣٣٤/١ ، ٣٣٥ . (١٠٨) المصدر نفسه : ٣٣٥/١ . (١٠٩) المصدر نفسه : ٣٣٥/١ . (١١٠) المصدر نفسه . (١١١) الامالي : ٣٣١/١ . (١١٢) المصدر نفسه . (١١٣) المصدر نفسه . (١١٤) المصدر نفسه . (١١٥) المصدر نفسه : ٣٣١/١ ، ٣٣٢ .
(١١٦) الامالي : ٣٠٠/٢ . ٣٠١ (١١٧) المصدر نفسه : ٣٠٠/٢ . (١١٨) هود : ٢٠ (١١٩) الامالي : ٥٥١/١ . (١٢٠) الخوالد : البواقي وعنى بها الاتاني وسحم : ضاربة الى السواد . (١٢١) الامالي : ٣٠١/٢ . (١٢٢) يونس : ٩٤ . (١٢٣) الطلاق : ١ . (١٢٤) الامالي : ٣٨٢/٢ . (١٢٥) البلد : ١٠ ـ ٢٠ . (١٢٦) الامالي : ٢٨٨/٢ ، ٢٨٩ . (١٢٧) القيامة : ٣١ . (١٢٨) المصدر نفسه : ٣١٢/٢ (١٢٩) الامالي : ٣١٤/٢ . (١٣٠) الفرقان : ٧١ . (١٣١) النساء : ١٦٤ (١٣٢) الامالي : ٣١٢/٢ ، ٣١٣ . (١٣٣) الامالي : ٣١٣/٢ . (١٣٤) ال عمران : ١٥٩ (١٣٥) الامالي : ٣١٣/٢ . (١٣٦) المصدر نفسه : ٣١٣/٢ . (١٣٧) الشورى : ١١ . (١٣٨) الامالي : ٣١١/٢ . (١٣٩) الامالي : ٢٠١/١ . (١٤٠) المصدر نفسه : ١٠٥/١ . (١٤١) يوسف : ١٨ (١٤٢) الامالي : ١٠٥/١ .
(١٤٣) الامالي : ١٠٥/١ . (١٤٤) الاسراء : ٤٧ . (١٤٥) الاسراء : ٤٥ . (١٤٦) الامالي : ٥٧٨/١ . (١٤٧) الامالي : ٣١٥/٢ ، ٣١٦ .
(١٤٨) المصدر نفسه : ٣١٧/٢ . (١٤٩) المصدر نفسه . (١٥٠) المصدر نفسه : ٣١٧/٢ ، ٣١٨ . (١٥١) ال عمران : ٧ . (١٥٢) الامالي : ٤٣٩/١ . (١٥٣) المصدر نفسه : ٤٤٠/١ . (١٥٤) المصدر نفسه : ٤٤٠/١ ، ٤٤١ . (١٥٥) المصدر نفسه : ٤٤١/١ . (١٥٦) الامالي : ٤٤١/١ . (١٥٧) هود : ٤٥ ، ٤٦ . (١٥٨) الامالي : ٥٠٤/١ . (١٥٩) المصدر نفسه : ٥٠٤/١ . ٥٠٥ . (١٦٠) الزخرف : ٤٥ . (١٦١) الامالي : ٧٩/٢ . (١٦٢) المصدر نفسه : ٨١/٢ . (١٦٣) الامالي : ٨١/٢ . (١٦٤) المصدر نفسه . (١٦٥) الانعام : ١٥١ . (١٦٦) الامالي ) ٣٥٥/٢ . (١٦٧) المصدر نفسه : ٣٥٦/٢ .
(١٦٨) الاعراف : ١٢ (١٦٩) الامالي : ٣٥٧/٢ والقفندر القبيح المنظر (١٧٠) المائدة : ٦٤ . (١٧١) يوسف : ٢٦ ، ٢٧ . (١٧٢) البقرة : ١٧ . (١٧٣) الامالي : ٤/٢ ، ٥ . (١٧٤) نفسه : ٨٩/١ وما بعدها و٣١٧/٢ .

## المصادر


● ادب المرتضى من سيرته وآثاره
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، ط ١ ، بغداد ١٩٥٧
● البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري واثرها في الدراسات البلاغية الدكتور محمد حسنين ابو موسى ، دار الفكر العربي .
● غرر الفوائد ودرر القلائد (الامالي)
الشريف المرتضى ، تحـ . محمد ابي الفضل ابراهيم ، ط ١ ، ١٩٥٤ .
● الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل الزمخشري ، ط ١ ، ١٣٠٧هـ .
● معجم الادباء .
ياقوت الحموي ، مطبوعات دار المامون .
● المقدمة
ابن خلدون ، ط . المكتبة التجارية الكبرى . بمصر .
● منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه
الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، ط . دار المعارف في مصر ، ط ٢ .
● وفيات الاعيان
ابن خلكان ، ط . الاسكندية ١٢٩٩هـ .